الأهمية الجيوإستراتيجية البيئية لإنتاج الغاز الطبيعيّ ونقله في حوض شرق المتوسط

د. بدور محـــمد أسامة أحمد*

ملخص:

شهد الربع الأول من العام ٢٠١٨ تصاعدًا كبيرًا في التوتر بين دول حوض شرق البحر المتوسط؛ ولاسيما بين تركيا وجمهورية قبرص من جهة، ولبنان وإسرائيل من جهة أخرى؛ وذلك نتيجة التنافس القائم بين هذه الدول على استغلال الموارد الطبيعية الموجودة في هذه المنطقة، وفي مقدمتها الغاز الطبيعيّ.

وعلى خلفية هذا التوتر والتحالفات التي نتجت عنه فإن التنافس بين دول حوض شرق البحر المتوسط قد يتطور ليشكل نواة صراع جديدة بمحددات جيوسياسية وإستراتيجية مختلفة؛ ولاسيما في ظل حالة التعقيد التي تحيط بالتطلعات السياسية والاقتصادية لهذه الدول للحصول على مزايا المركز الإقليميّ للطاقة في هذه المنطقة الحيوية التي تتشابك فيها الحدود المائية والمصالح المختصة بالطاقة؛ حيث سعت العديد من الأطراف الإقليمية والدولية إلى تحويل وجهة مجريات هذه القضية المعقدة بما يحفظ لهذه الدول مصالحها، وأضحى ذلك مؤثرًا فيما يتعلق بحقول الغاز الطبيعيّ المكتشفة حديثًا في منطقة حوض شرق البحر المتوسط.

كلمات مفتاحية: الأهمية الجيوإستراتيجية، الغاز الطبيعيّ، شرق المتوسط.

Environmental geostrategic importance in gas production and transportation in the eastern Mediterranean

Abstract

The first quarter of 2018 witnessed a significant escalation in tension between the countries of the Eastern Mediterranean Basin, especially between Turkey and the Republic of Cyprus on the one hand, and Lebanon and Israel on the other, due to the competition between these countries to exploit the natural resources in this region.

Against the backdrop of these alliances, competition may develop to form the nucleus of a new conflict with different geopolitical and strategic determinants of the past, especially in the context of the complexity surrounding the political and economic aspirations of these countries to gain the advantages of the Regional Energy Center in this region where water borders and energy interests are intertwined; Where many of the regional and international parties

* دكتوراه في الدراسات البيئية عام ٢٠١٧ – معهد دراسات البحر المتوسط– كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

have sought to turn the course of this complex issue to preserve their interests and to become an influence on the resently discovered gas fields.

Keywords : Geostrategic importance, Natural Gas, Eastern Mediterranean.

مقدمة:

مع تصاعد الكشف عن الغاز في منطقة شرق المتوسط، ازداد الصراع والتنافس الإقليميّ على هذه الثروات باعتبارها عامل تهديد للاستقرار بدلًا من أن تتحول إلى عنصر استقرار في المنطقة؛ مما ينذر بتحفيز الصراعات، وتجددها كالصراع التركيّ القبرصيّ، والإسرائيليّ اللبناني، فضلًا عن دورها في زيادة مستوى التوترات في العلاقات المصرية التركية.

فلقد شهد الربع الأول من العام ٢٠١٨ تصاعدًا كبيرًا في التوتر بين دول حوض شرق البحر المتوسط؛ ولاسيما بين تركيا وجمهورية قبرص اليونانية من جهة، ولبنان وإسرائيل من جهة أخرى؛ وذلك نتيجة التنافس القائم بين هذه الدول على استغلال الموارد الطبيعية الموجودة في هذه المنطقة، وفي مقدمتها الغاز .

وعلى خلفية هذه التحالفات فإن التنافس قد يتطور ليشكل نواة صراع جديدة بمحددات جيوسياسية وإستراتيجية مختلفة عن الماضي؛ ولاسيما في ظل حالة التعقيد التي تحيط بالتطلعات السياسية والاقتصادية لهذه الدول للحصول على مزايا المركز الإقليميّ للطاقة في هذه المنطقة الحيوية التي تتشابك فيها الحدود المائية والمصالح المختصة بالطاقة؛ حيث سعت العديد من الأطراف الإقليمية والدولية إلى تحويل وجهة مجريات هذه القضية المعقدة بما يحفظ لها مصالحها، وأضحى ذلك يُعتمد بوصفه مؤثرًا فيما يتعلق بحقول الغاز المكتشفة حديثًا؛ مما يعمل على ردود أفعال متباينة من أطراف يرونها وسيلة لتعاون إقليميّ أو آخرين يرون فيها اندلاع صراعات حول تلك الحقول؛ مما يترتب عليه أداة ترسيم الحدود البحرية وتداخل نفوذ الدول الكبرى.

منطقة الدراسة:

تقع منطقة شرق المتوسط في منطقة مهمة حضاريًا وأمنيًا وسياسيًا واقتصاديًا، والتي بموجبها أصبحت ذات أهمية جيو– إستراتيجية ؛ لدور هذه المنطقة في حركة السياسة العالمية تأثيرًا وتأثرًا وَفْقَ ما يميزها من خصائص؛ وبناء عليه فسوف تعالج هذه الدراسة الأهمية الجيوإستراتيجية للنفط بمنطقة البحر المتوسط، حيث إن البحر المتوسط بحر متاخم للمحيط الأطلسيّ، يقع بين جنوب أوروبا، وشمال إفريقيا وغرب آسيا، مشكّلاً شبه مستطيل بين خطي عرض ٤٦ و ٣٠ درجة شمالاً و خطي طول ٥.٥٠ غربًا وهذا ٣٦ شرقًا، و تبلغ مساحته ٢٩٦٦٠٠٠ كم^{٢}، هذا و يمكن أن نضيف إلى الحوض المتوسط كلًا من البحر الأسود الذي تبلغ مساحته ٥٠٨٠٠٠ كم^{٢}، الذي يُعدّ امتدادًا له، وكذلك بحر مرمرة الرابط بينهما الذي تبلغ مساحته ١٤٠٠ كم^{٢}، فتصبح المساحة الكلية للبحر المتوسط ٣٤٧٥٤٠٠ كم^{٢} (François D.,:P871)، و بحكم الطبيعة الجغرافية للبحر المتوسط، فإنه يكاد يكون بحرًا مغلقًا

لولا وجود منفذين رئيسين هما: مضيق جبل طارق غربًا الذي يصله بالمحيط الأطلسيّ قناة السويس شرقًا التي تشكل منفذًا إلى البحر الأحمر الذي يتصل بدوره عبر مضيق باب المندب بالمحيط الهنديّ (أبو العز، محمد صفي الدين: ١٩٧٩، ص٩).

شكل رقم (١) يوضح شرق المتوسط أو البحر المشرقيّ، وهو اسم الطرف الشرقيّ للبحر المتوسط.

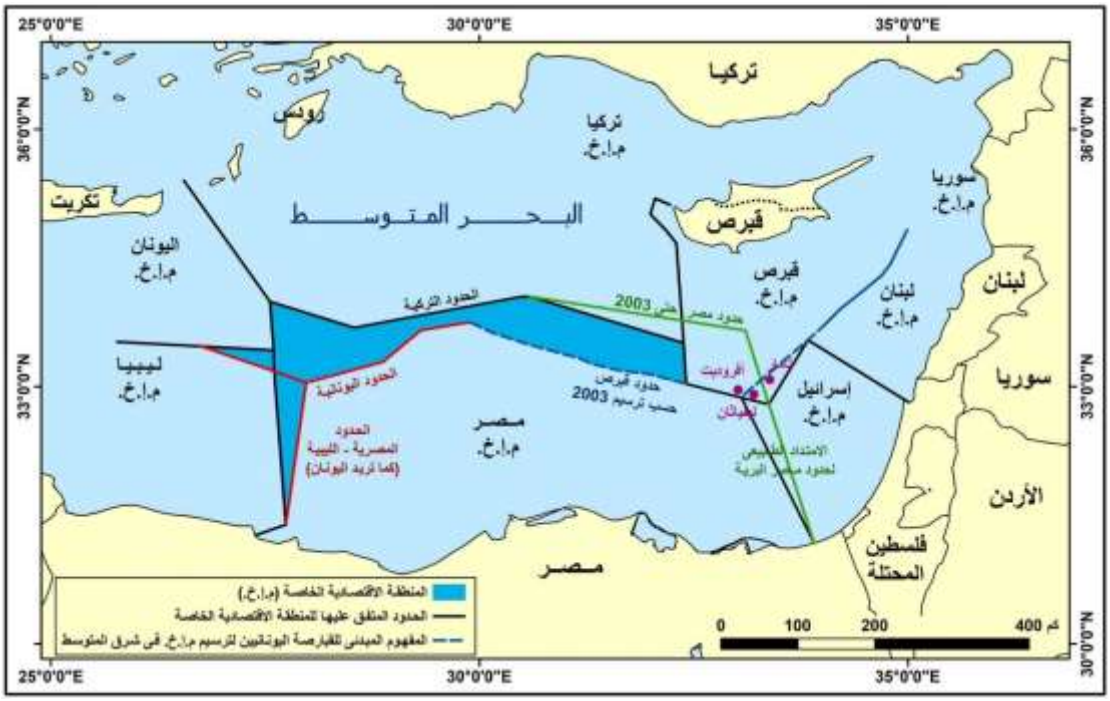

المصدر: من إعداد الباحثة؛ اعتمادًا على Mohamed Adel (2016-01-05).

شكل رقم (٢) يوضح مناطق امتيازات النفط والغاز الطبيعيّ في مصر المطروحة في مزايدة ٢٠١٨ في منطقة خليج السويس والصحراء الشرقية والصحراء الغربية.

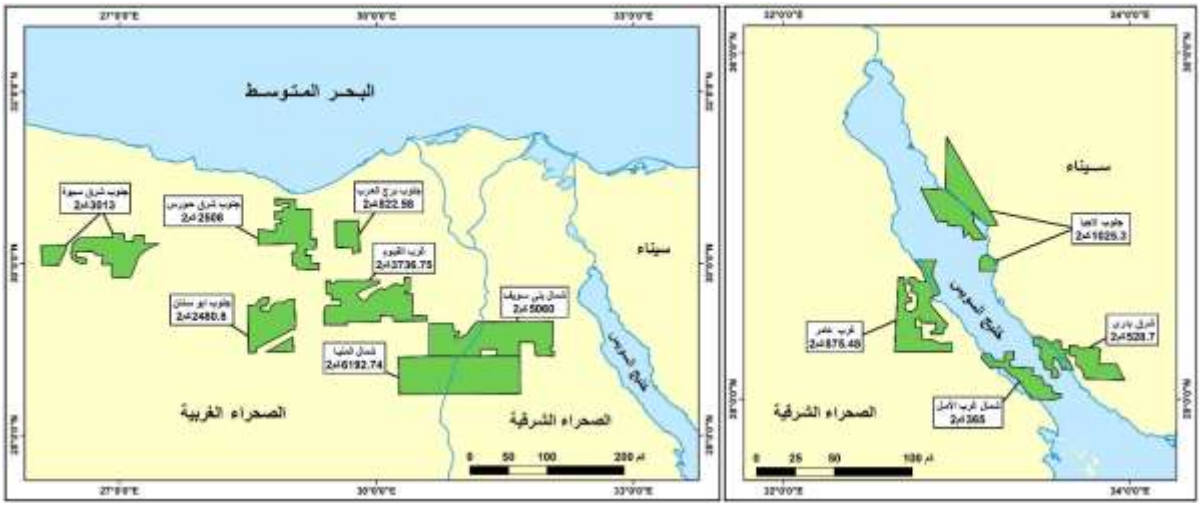

المصدر: من إعداد الباحثة؛ اعتمادًا على بيانات الهيئة المصرية العامة للبترول

شكل رقم (٣) يوضح حقول الغاز في شرق البحر المتوسط ٢٠١٩

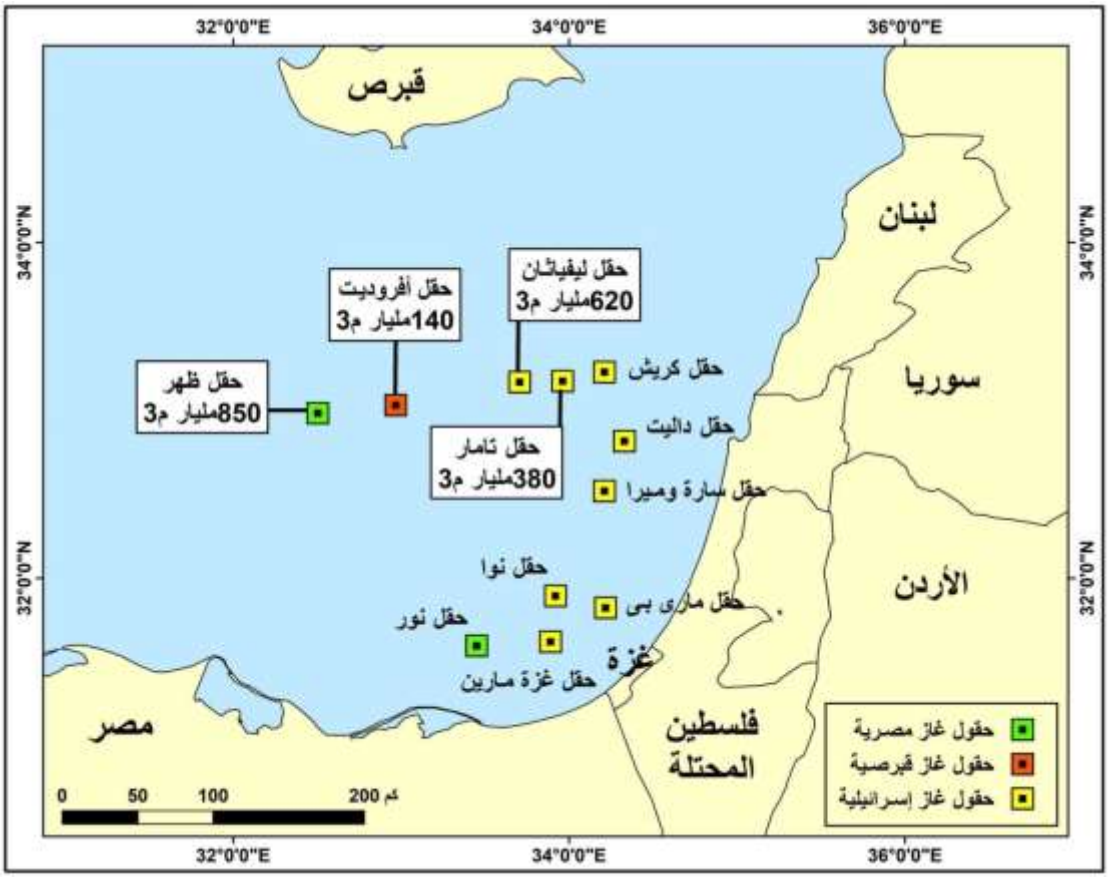

المصدر: من عمل الباحثة؛ اعتمادًا على: East Mediterranean Sea Gas 01-2019

أهمية غاز شرق حوض البحر المتوسط:

تتخذ منطقة حوض شرق المتوسط أهميتها كونها تتضمن أكبر احتياطات من الغاز الطبيعيّ، ووفق تقديرات المسوح الجيولوجية الأمريكية، فإن هذه المنطقة تحتوي على ٣٤٠ تريليون قدم مكعب من الغاز (صلاح، مصطفى: ٢٠١٨، ص١)، وفيما يأتي أبرز التوزيعات المتعلقة بتلك الثروة:

أولًا –مصر:

تشهد مصر طفرة في اكتشافات الغاز بلغت نحو ١٣ كشفًا للغاز الطبيعيّ؛ مما أسهم في زيادة احتياطيات الغاز وإنتاجه في مصر؛ إذ تحتل مصر المركز الثالث من حيث احتياطيات الغاز في إفريقيا والمركز السابع عشر على الصعيد العالميّ، وأسهم قطاع الاستكشاف والإنتاج في تحقيق فائض في ميزان المدفوعات؛ نتيجة ارتفاع استثمارات الشركات الأجنبية في قطاع البترول بنسبة ٢٣% خلال السنة المالية ٢٠١٧/٢٠١٦، حيث بلغت التدفقات الاستثمارية نحو ٨.١ مليار دولار مقابل ٦.٦ مليار دولار خلال العام الماليّ ٢٠١٦/٢٠١٥، ومن المخطط تزايد الاستثمارات الأجنبية لنحو ١٠ مليار دولار خلال العام الماليّ الحاليّ .

ففي عام ٢٠١٥م، اكتشاف حقل " ظهر" والذي يُعدّ أكبر اكتشافات للغاز الطبيعيّ في مجمع شرق البحر داخل المنطقة الاقتصادية في البحر المتوسط، والذي يبعد ١٥٠ كم عن الساحل، وتبلغ احتياطياته ٣٠ تريليون قدم مكعب (الباسوسي، أحمد زكريا: ٢٠١٥، ص ٢).

وفي نفس السياق، وبالتوازي مع هذه الاكتشافات النفطية تتزايد التعقيدات السياسية بالدول المعنية وما يتعلق من خلافات ومشاكل حول الحدود البحرية لكل بلد؛ ومن ثمّ حصة كل دولة من هذه الاكتشافات، وما قد تمثله من فرص للتعاون الاقتصاديّ والسياسيّ وتحولها إلى تهديدات عسكرية.

وعلى خلفية هذه الأهمية المتزايدة لاكتشافات الغاز، حظيت هذه المنطقة بوضعية فريدة؛ لما تتسم به منطقة حوض شرق البحر المتوسط بقدر كبير الأهمية؛ كونها تتضمن احتياطيات إستراتيجية ضخمة، وتتجلى الأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة على النحو الآتي:

أ – الأهمية الجيوسياسية للمنطقة الأوسع التي يقع فيها، وهي منطقة شرق المتوسط التي تضم نحو ٤٧ % من احتياطيّ النفط و٤١ % من احتياطيّ الغاز في العالم، وزاد من أهميتها انفتاح البحر المتوسط على تقاطع آسيا وأوروبا وإفريقيا، واتصاله بطرق التجارة العالمية عبر مضائق السويس والبوسفور وجبل طارق.

ب – الصراع على استغلال ثروات الهيدروكربون والتنافس على طرق تصديرها والتزاحم على حصص الأسواق الخارجية، بالإضافة إلى تحويل دول المنطقة إلى لاعب دوليّ صاعد في لعبة الغاز.

شكل رقم (٤) مناطق امتياز الغاز في مصر

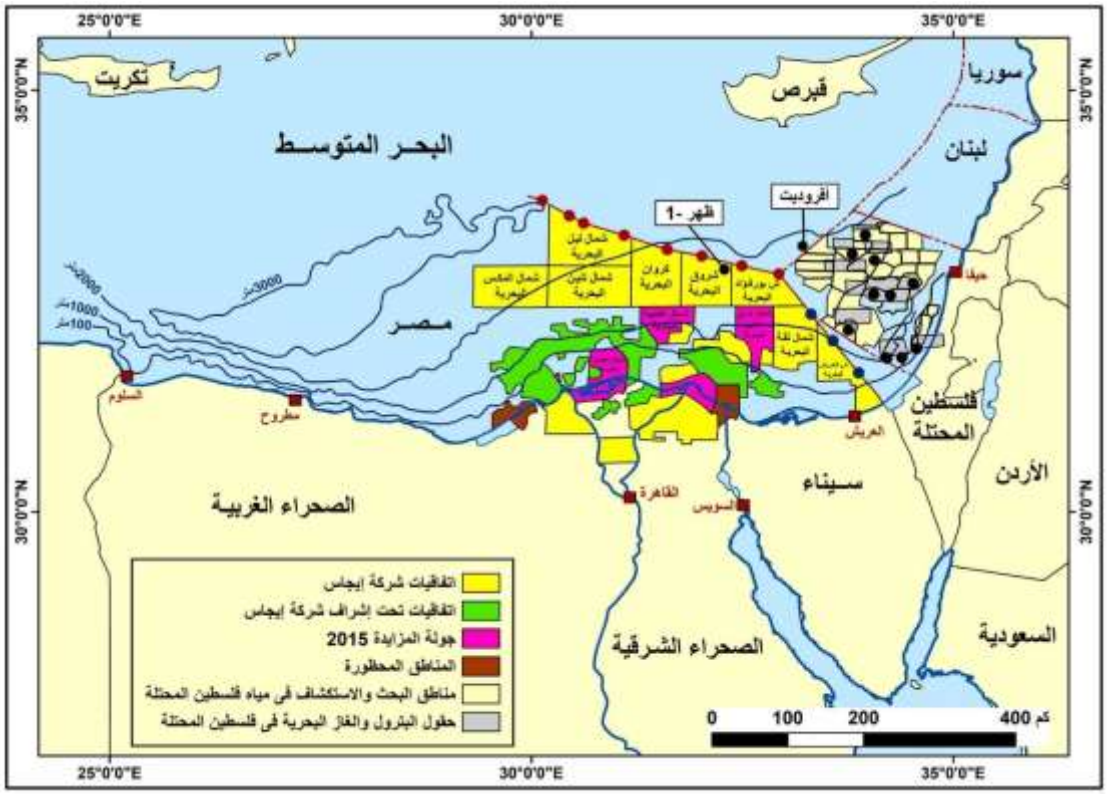

المصدر: من عمل الباحثة؛ اعتمادًا على: East Mediterranean Sea Gas 01-2019

ثانيًا- قبرص:

شهد ديسمبر من العام ٢٠٠٩، اكتشاف حقل " أفروديت " على بعد ١٨٠ كم من الشاطئ الجنوبيّ الغربيّ لقبرص، بإجماليّ مخزون ٩ تريليونات قدم مكعب من الغاز الطبيعيّ. كما أعلنت شركة " إيني" الإيطالية في فبراير ٢٠١٨، اكتشاف حقل " كاليبسو" في المنطقة المتنازع عليها بين قبرص وتركيا (الباسوسي، أحمد زكريا: مرجع سابق، ص ٣).

شكل رقم (٥) يوضح خريطة توزيع الغاز والنفط قبالة سواحل قبرص

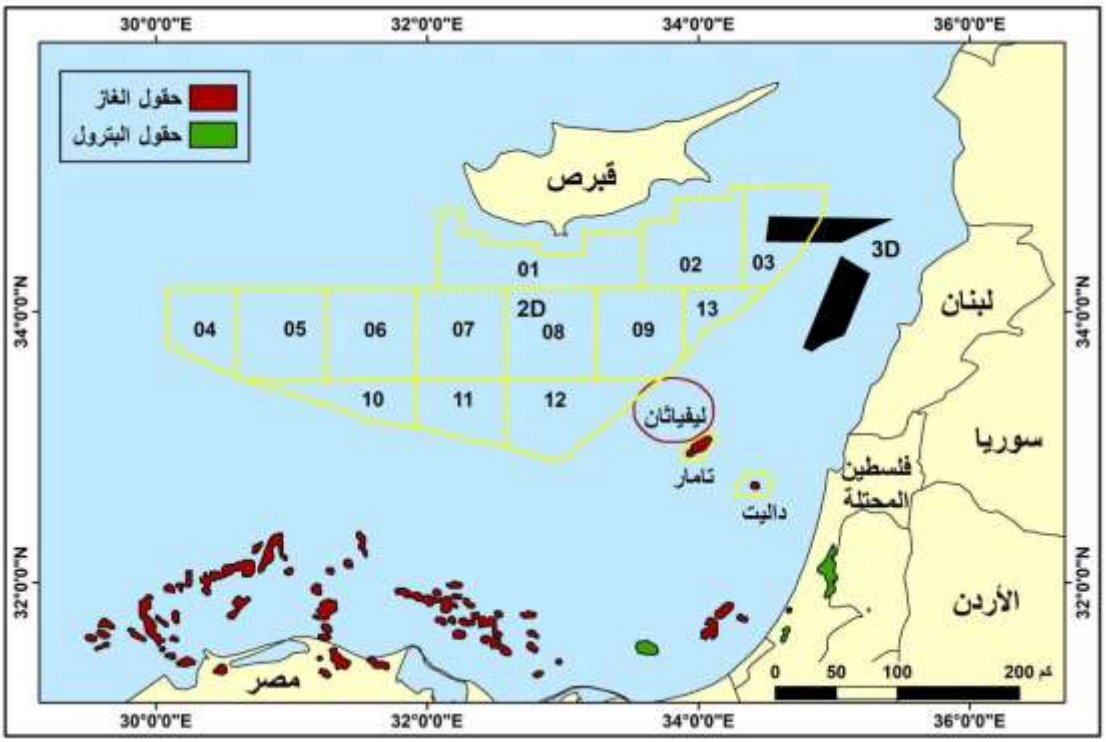

المصدر: من عمل الباحثة؛ اعتمادًا على: East Mediterranean Sea Gas 01-2019

ثالثًا – إسرائيل:

بالنسبة لإسرائيل فظهور هذا المخزون الضخم من الغاز جاء بعد اكتشافات عديدة للحقول في المياه الاقتصادية المحاذية لها، وكانت على مرحلتين المرحلة الأولى : بين عامي ١٩٩٩-٢٠٠٠م في مناطق امتياز "نوعا" و "ميري – بي" قباله ساحل عسقلان ضمن حقل (يام ثيتيس) حتى بدأ النظام استخراج الغاز في ٢٠٠٤ ، أما المرحلة الثانية فكانت في ٢٠٠٩ واكتشاف حقل تمار وبدأ تدفق الغاز في مارس ٢٠١٣ (إيفن، شموئيل: ٢٠١٤، ص١٥) وهو يعد ثاني أكبر حقل غاز في منطقة شرق المتوسط والذي يبلغ المخزون الاحتياطيّ له ما يقارب ٩.٧ تريليونات قدم مكعب من الغاز ويبعد ٩٠ كم عن شواطئ شمال إسرائيل، كما شهدت إسرائيل العديد من الاكتشافات الأخرى، مثل: حقل " داليت " الذي يبعد ٦٠ كم غربًا عن مدينة حيفا ، والذي يبلغ احتياطيه ما بين ٠.٣٥ و ٠.٥ تريليون قدم مكعب من الغاز ، إلا أنه في عام ٢٠١٢ كان أهم اكتشافين بالنسبة لإسرائيل حقلي: " تانين أو خزان التمساح

وحقل ليفياثان " ويبلغ احتياطيّ الحقلين ١٨.٢ تريليون قدم مكعب من الغاز (صلاح، مصطفى: ٢٠١٨، ص ٢) .

شكل رقم (٦) يوضح حقول الغاز الطبيعيّ في شرق المتوسط

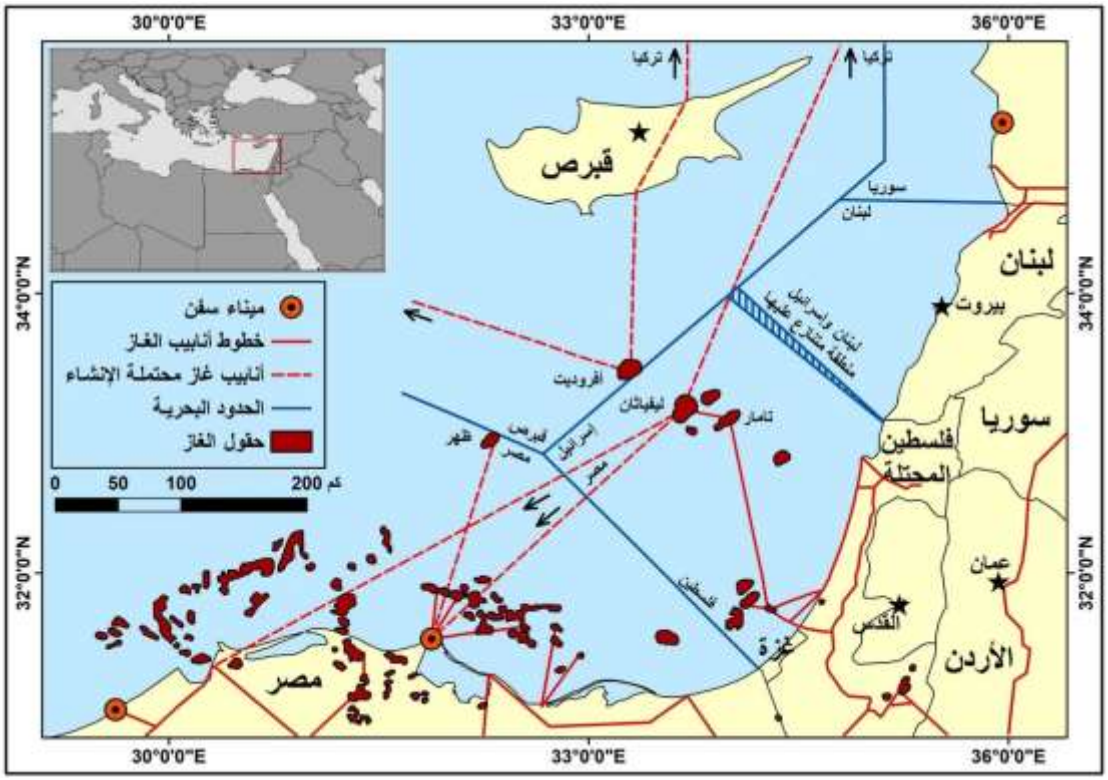

المصدر: من عمل الباحثة؛ اعتمادًا على: East Mediterranean Sea Gas 01-2019

أهمية الدراسة:

ما شهدته المنطقة العربية خلال العامين المنصرمين كان زاخرًا بالأحداث والتحديات، والتي من بينها تحديات قطاع الطاقة بصوره المتعددة؛ ولاسيما فيما يتعلق بمواجهة الطلب المتزايد والنمو المضطرد للاستهلاك، حيث أصبحت الطاقة في أيامنا هذه ليست ضرورة حياتية فحسب، بل من الضرورات الأمنية الملحة الواجب توافرها على مدار الساعة، وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال علاقة التأثير المتبادلة ما بين خطوط وشبكة نقل الغاز من جهة والعلاقات الاقتصادية الدولية على ضوء تلك الأخيرة من جهة أخرى، وتخص الباحثة في ذلك منطقة شرق المتوسط، بوصفها مجالًا للبحث و ذلك عبر نقاط عديدة غاية في الأهمية، وهي:

١ – الدور الذي تؤديه تلك الخطوط في مد الاقتصاديات العظمى كالاقتصاد الأوروبيّ بالطاقة اللازمة.

٢ – دور خطوط النقل في رسم خارطة دولية جديدة من العلاقات الاقتصادية وترسيخ الدعائم فيها.

دراسات سابقة:

انتقت الباحثة بعضًا من الدراسات التي نشرت عن موضوع الدراسة، ومن أهمها:

١ – دراسة ٢٠١٤، Prisecaru and Al dulimi، بعنوان ازدهار الغاز الطبيعيّ في منطقة الشرق الأوسط: Natural Gas Boom in the Middle East:

يتناول هذا البحث الغاز الطبيعيّ في منطقة الشرق الأوسط ومدى تأثيره في السوق العالمية من خلال دراسة تحليلية لكل من الاحتياطيّ والإنتاج والتصريف ومدى تأثّرها بالمتغيرات الجيوسياسية التي تشهدها المنطقة، مع عرض الدور والمكانة التي تؤديها منطقة الشرق الأوسط في سوق الغاز الطبيعيّ العالمية؛ ولاسيما على ضوء الاحتياطيّ الغازيّ الهائل المكتشف والإمكانية العالية للإنتاج والتصدير، وتمثّلت مشكلة البحث –كما طرحها الباحث– في كون منطقة الشرق الأوسط على الرغم من غناها بالغاز الطبيعيّ فإنها تعاني من ضعف البنى التحتية والشروط الفنية اللازمة، إضافة إلى السبب الأساسيّ وهو الصراع الذي تشهده المنطقة منذ عقود عدة .

٢ – دراسة هاجر محمد أحمد عبد النبيّ: (٢٠١٦) ، بعنوان : أمن الطاقة والعلاقات الروسية الغربية في الفترة (٢٠٠٠– ٢٠١٥):

وقامت بتحديد أهم سياسات أمن الطاقة التي يتخذها الجانبان: الروسيّ والغربيّ، ومدى صحة تلك السياسات في تحقيق أهدافها والعمل على استقلالية الدولة، وتأتي أهمية أمن الطاقة من كونه يمكن أن يولد حروبًا بين الدول التي تتنازع عليه، وظهر ذلك من خلال أوكرانيا وأزمة القرم التي اندلعت في عام ٢٠١٤، وأدت إلى حرب دولية بين الثلاث قوى الكبرى محل الدراسة وهي: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبيّ، وروسيا الاتحادية، كما يؤدي الفشل في استخدام القوة الصلبة مع التغيرات العالمية –كما حدث لواشنطن وكان السبب في بروز روسيا– إلى اتجاه الدولة إلى أدوات القوة الأخرى كأمن الطاقة لتحقيق النفوذ.

٣ – دراسة أحمد زكريا الباسوسي: (٢٠١٨) ، بعنوان : تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدوليّ على الغاز الطبيعيّ، دراسة حالة منطقة حوض شرق البحر المتوسط:

وهي تدور حول دراسة تأثيرات تهديد أمن الطاقة في الصراع الدوليّ على الغاز وتحليلها في منطقة حوض شرق البحر المتوسط في الفترة ما بين (٢٠٠٠ – ٢٠١٨) وذلك من خلال تحليل توجهات مختلف بلدان منطقة شرق المتوسط إزاء التعامل مع اكتشافات الغاز الطبيعيّ فيها، وإدارة علاقاتها مع دول الجوار، فضلًا عن تحليل رؤية القوى الدولية الكبرى صاحبة الخبرة الواسعة في مجال التنقيب والكشف عن الموارد الهيدروكرونية، وقد استهدفت الدراسة الإجابة عن تساؤل رئيس، والذي يدور حول تأثيرات تهديد أمن الطاقة واكتشافات الغاز الطبيعيّ في الصراع الدوليّ في منطقة حوض شرق المتوسط.

مشكلة الدراسة:

لم يحظَ أي حقل من حقول المعرفة بظروف عدم اليقين مثلما حظي موضوع النفط، فمن حيث الأصل وظروف التكوين؛ ما زال منتدى للجدل بين العلماء، فلقد عرف الإنسان النفط منذ القدم وربما منذ بداية الحياة الإنسانية على الأرض ، ويعد النفط من الموارد الإستراتيجية المهمة التي يدور حولها ولأجلها التنافس والصراع الدوليّ؛ بهدف السيطرة على المصادر والأسواق، والتحكم في آليات الإنتاج والتسعير والتوزيع؛ الأمر الذي يجعل اقتصادات الدول النامية وتحديدًا الدول النفطية العربية تعيش مزيدًا من التشابك والاندماج في المنظومة الاقتصادية العالمية؛ مما يلقي مزيدًا من الإشكاليات والتحديات التي تتولد من موقع المؤثِّر والمتأثِّر في سياق الصراعات الدولية؛ وتحديدًا مفاعيلها السلبية والإيجابية على العلاقات الاقتصادية الدولية .

ومع تصاعد الآراء بنضوب النفط والغاز الطبيعيّ في أغلب بقاع العالم، فإن هناك آراء أخرى تشير إلى أن النفط والغاز لن ينضب إلا بفناء الأرض، ويحتمل أن تكون أي منطقة فوق الأرض يمكن أن يكون في باطنها نفط وغاز، غير أن افتراض التضاريس الخارجية والباطنية للأرض تجعل تفاوتًا في إمكانية استخراجه وكلفته (محمد، محمد إسماعيل: ٢٠٠٧، ص ١٢٦).

فمشكلة البحث تنشأ من دور النفط، بوصفه سلعة إستراتيجية، وتنعكس مفاعيل الطلب عليها وعرضها؛ ومن ثمّ تسعيرها مباشرة على مجمل المتغيرات الاقتصادية الداخلية في البلدان النامية والمتقدمة على حدٍ سواء؛ الأمر الذي يدفعنا **للتساؤل** عما إذا كان النفط نعمة أم نقمة بالنسبة للدول المستوردة والمصدرة ، وبصورة خاصة للدول النامية غير النفطية؛ إذًا من خلال تغيرات الأسعار – هبوطًا وارتفاعًا– يتحدد شكل بنية الأطراف ومضمونها؛ ومن ثمّ طبيعة العلاقة ما بين المركز والأطراف وبصورة خاصة ما يتعلق بالنواحي الإستراتيجية والجيوبوليتيكية، فضلاً عن القدرات التنموية؛ ومن ثمّ الموقع في منظومة علاقات القوى .

مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها:

مفهوم الغاز الطبيعيّ: الغاز الطبيعيّ هو خليط من الغازات القابلة للاحتراق، حيث تتكون هذه الغازات –عادة– من الهيدروكربونات، مثل: الميثان والإيثان والبروبان والبيوتان والبنثان وغيرها، والتي تتغير نسبها ومكوناتها من حقل إلى آخر، وهو في صورته النقية عديم اللون، والشكل، ولا رائحة له، وإن خصيصة قابلية الاحتراق، تولد لنا قدرًا كبيرًا من الطاقة (فؤاد، عليّ: ١٩٦٧، ص ٧٨).

ويعد الغاز الطبيعيّ واحدًا من أفضل مصادر الطاقة، وهو من أنواع الوقود الأحفوريّ كالزيت والفحم، والذي يكون غالبًا مصاحبًا للنفط، تشكل في باطن الأرض من بقايا النباتات والحيوانات والجزيئات الحية التي عاشت قبل ملايين السنين (البيضاوي، خيرات: ١٩٨١، ص٤٣).

مفهوم الأهمية الجيوإستراتيجية البيئية:

عرفت الجيوإستراتيجية البيئية: بأنها التخطيط السياسيّ والاقتصاديّ والبيئيّ والعسكريّ الذي يهتم بالبيئة الطبيعية، من ناحية استخدامها في تحليل المشكلات الاقتصادية أو السياسية ذات الصفة الدولية أو تفهمها، وأضاف: أن الجيوإستراتيجية تبحث في المركز الإستراتيجيّ للدولة أو الوحدة السياسية، سواء أفي الحرب أم السلم، فتتناوله بالتحليل إلى عناصره أو عوامله الجغرافية العشرة، وهي: الموقع، والحجم، والشكل، والاتصال بالبحر، والحدود، والعلاقة بالمحيط، والطبوغرافيا، والمناخ، والموارد، والسكان.

كما عرفت: أن مصطلح الجيوإستراتيجية يعني: دراسة الموقع الإستراتيجيّ للدولة أو المنطقة الإقليمية، ومدى تأثير هذا الموقع في العلاقات السلمية والحربية (المصريّ، شفيق: ٢٠١٣، ص٢٢).

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التي تشكل صلب المشكلة البحثية، وذلك بوضعها موضع الدراسة والتحليل واعتمادًا على الأسس الملائمة.

فروض الدراسة:

تبرز مشكلة البحث من خلال الظروف الاستثنائية التي ولدها اكتشاف الغاز، بوصفه طاقة مستقبلية بديلة للنفط الآخذ بالنضوب وصعوبة إيصاله من منابعه إلى مستهلكيه تبعًا لظروف كثيرة، ويمكن إظهار مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

١ – ما الآثار الاقتصادية والجيوإستراتيجية المترتبة على صراعات خطوط نقل الغاز في منطقة شرق المتوسط؟

٢ – ما آثار مشاريع خطوط نقل الغاز المزمع تنفيذها وانعكاساتها في البنى التحتية وعمليات التنمية ومختلف الجوانب الاقتصادية في اقتصاديات شرق المتوسط؟

٣ – ما دور أنابيب نقل الغاز في رسم الخارطة الدولية الجديدة عمومًا، وخريطة شرق المتوسط على وجه الخصوص؟

كما ينطلق البحث من فرضية، مضمونها:(أن الغاز الطبيعيّ لن يتم استثماره واستغاله بالشكل الأمثل وفق الصيغ التي تتناسب ومدى الحاجة إلى ما سيحققه هذا المورد من إيرادات، على الرغم من إمكانية إسهامه في تبني صناعات غازية جديدة).

الإجراءات المنهجية للدراسة:

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يعني الطريقة المنظمـــة لدراسة حقائق حالية، متعلقة بظاهرة ما – كظاهرة الغاز الطبيعيّ – بهـــدف اكتشاف حقيقة جديدة أو

التأكد من صحة حقائق قديمة وآثارها والعلاقات المنبثقة عنها وتفسيرها وكشف الجوانب التي تحكمها؛ لبيان دور الغاز الطبيعيّ وأهميته بوصفه مادة أولية في استخدامات الصناعات المختلفة، ومصدرًا مهمًا للطاقة.

كما اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخيّ الذي يعرف بأنه" الطريقة العلمية التي يتبعها الباحث في دراسته وتحليله لظاهرة معينة في تعاقباتها زماناً وتنقلاتها مكاناً وفق خطوات بحث معينة ترتكز على المصادر التاريخية؛ من أجل فهم حاضر ظاهرة الغاز الطبيعيّ؛ ومن ثم الوصول إلى المعرفة اليقينية بشأنها"؛ ومن ثم فقد قامت الباحثة بجمع معلومات عن الأحداث والحقائق الماضية، عن الغاز الطبيعيّ التي تم فحصها وتحليلها والتأكد من صحتها، واستخلاص النتائج العامة عنها.

نتائج الدراسة:

اعتمادًا على دراسة الجوانب المتعددة لظاهرة الغاز الطبيعيّ في حوض شرق البحر المتوسط فقد تم التوصل إلى عدة نتائج يمكن عرضها فيما يأتي:

١ – أن منطقة حوض شرق البحر المتوسط تعدّ من أغنى مناطق العالم احتواء على الغاز الطبيعيّ.

٢ – يبدو أن ثمة إدراكًا قد بات راسخًا لدى كل أطراف الصراعات أنها صراعات ذات طبيعة مستعصية، بمعنى: أنها غير قابلة للحل والتسوية النهائية في المستقبل المنظور، صحيح أنها لم تصل إلى مرحلة الحروب إلا أن فرص تسويتها لا تزال صعبة؛ مما دفعهم إلى تبني نمط إدارة الصراع، بدلًا من تسوية الصراع.

٣ – إدراك غالبية بلدان منطقة شرق المتوسط أن التعاون هو السبيل الوحيد للاستفادة من الكميات الضخمة من الموارد الهيدروكربونية؛ ولاسيما في عمليات تصدير الغاز، فيمكن لكل دولة على حدة أن تقوم باستخراجه، لكن لا يمكنها التصدير إلا من خلال تعاون حقيقيّ سواء أمن خلال إنشاء خطوط عابرة للحدود أم إنشاء مجمعات لتسييل الغاز الطبيعيّ، وتصديره عبر الموانئ.

٤ – أن العلاقات المتدهورة الناتجة عن عقود طويلة من الصراعات السياسية، والحروب تقف حائلًا دون تسوية صراعات الموارد.

٥ – أن الصراع بين المكونات الداخلية للنظام السياسيّ قد يمثل دافعًا للسلطة التنفيذية؛ ولاسيما الرئاسة والحكومة في المضي قدمًا نحو الانخراط في علاقات تعاونية مع دول الجوار؛ ولاسيما في المجالات المتعلقة بقطاع الطاقة.

٦ – أن دوافع القوى الدولية للاهتمام بغاز المنطقة متباينة إلى حد بعيد، فبينما يرى الاتحاد الأوروبيّ فيه فرصة حقيقة لضمان أمنها من الطاقة عبر تقليل الاعتماد على الغاز الروسيّ، فإن كلًا من روسيا والولايات المتحدة تركز –بصورة أكبر– على الشق السياسيّ بدرجة أكبر من الاقتصاديّ.

وفي النهاية يجب أن نضع بعضًا من التوصيات التي تزكي النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي:

١ – العمل على ضرورة تأهيل البنى التحتية وتطويرها للمشاريع الغازية القائمة والمختصة بمعالجة الغاز الطبيعيّ والتخطيط لإقامة مشاريع استثمارية أخرى.

٢ – التوجه إلى سد الحاجة المحلية من الغاز الطبيعيّ؛ وخصوصًا الحاجات المنزلية والاستفادة من التجارب الحديثة بمد الأنابيب إلى المجمعات السكنية.

٣ –الاستفادة من التجارب الدولية؛ ولاسيما التي تمتلك مقومات وإمكانات مشابهة وتطبيقها؛ لرسم سياسة استثمارية ناجحة.

٤ – يشكل الاستقرار والأمن في منطقة البحر المتوسط مكسبًا مشتركًا يجب الحفاظ عليه بين دول هذا الحوض.

الخلاصة:

نخلص من خلال ما سبق، إلى بعض الاستنتاجات التي تسمح لنا بالإجابة عن التساؤلات التي طرحناها من قبل، والإحاطة بعناصر الموضوع –قيد الدراسة– في مجموعة من النتائج، نلخصها فيما يأتي:

١ – الأهمية الإستراتيجية الكبيرة التي يكتسبها حوض البحر المتوسط على المستويين الجيوسياسيّ والاقتصاديّ.

٢ – أثّرت المتغيرات الدولية التي طرأت منذ أواخر الثمانينيات –مباشرةً– في حوض البحر المتوسط عسكريًا، سياسيًا، اقتصاديًا واجتماعيًا.

٣ – أن فكرة التعاون بين ضفتي حوض البحر المتوسط ليست نتاج التطورات الحالية، بل هي اكتمال سلسلة من المبادرات واللقاءات والاتفاقات، وإن كان الظرف الدوليّ الحاليّ قد عمل –وبشكل حاسم– على تكريس الفكرة على أرض الواقع.

٤ – على الرغم من أهمية حوض البحر المتوسط الحضارية والثقافية، فلم يحظ الحوض في محور الشراكة الاجتماعية والثقافية والإنسانية بتركيز الطرف الأوروبيّ على هذا الجانب، ذلك أنه أعاد تكرار الحرص على مكافحة الآفات الاجتماعية، وهذا راجع إلى الرؤية الأمنية الأوروبية للمشاكل التي تهز دول المنطقة.

وأخيرًا فإنه مما لا شك فيه أنّ النفط والغاز الطبيعيّ وموارد الطاقة الأحفورية هي من أهم عناصر الجذب التي تستقطب نفوذ الدول وصراعاتها؛ ولاسيّما منطقة الشرق الأوسط بأبعادها الإستراتيجية وبثرواتها الطبيعية وبممراتها المائية. ولقد شكّـلت منطقة الشرق الأوسط عامة، والمنطقة العربية خاصة، نقطة استقطاب إستراتيجية منذ سنوات طويلة للعديد من الدول، التي تتنافس في سباق محموم في الصراع على مصادر الطاقة، وكذلك جعل العديد من دول المنطقة ذات تأثير يتعاظم بأبعاده الجيوسياسية على خريطة التحالفات في منطقة الشرق الأوسط.

المراجع

أولًا- المراجع العربية:

- **أحمد زكريا الباسوسي:** تسييس الطاقة: التحولات الراهنة للصراع الإقليميّ على غاز المتوسط، أغسطس، القاهرة، مصر، ٢٠١٥.
- **أحمد زكريا الباسوسي:** تأثيرات تهديد أمن الطاقة على الصراع الدوليّ على الغاز الطبيعيّ، دراسة حالة منطقة حوض شرق البحر المتوسط، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، مصر، ٢٠١٨.
- **خيرات البيضاوي:** اقتصاد الصناعات البتروكيماوية، معهد الإنماء العربيّ، التقارير الاقتصادية، بيروت، لبنان، ١٩٨١.
- **عليّ فؤاد:** الغازات الطبيعية، مجلة البترول، العدد الأول، فبراير، مصر، ١٩٦٧.
- **شفيق المصريّ**، الأمن النفطيّ: الهاجس الأكبر في المنطقة، مجلة الاقتصاد والأعمال، لبنان، عدد مايو ٢٠١٣.
- **محمد صفيّ الدين أبو العز:** " توازن القوى في منطقة البحر المتوسط K" المستقبل العربيّ، السنة٢، العدد ٧، بيروت، لبنان، مايو ١٩٧٩.
- **محمد إسماعيل محمد:** صناعة وتكرير البترول، القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧.
- **مصطفى صلاح:** مستقبل شرق المتوسط ومستقبل الصراع الإقليميّ، دراسة تحليلية، مركز الحوكمة وبناء السلام، صنعاء، اليمن، ٢٠١٨.
- **هاجر محمد أحمد عبد النبيّ** : أمن الطاقة والعلاقات الروسية الغربية في الفترة (٢٠٠٠-٢٠١٥) ، دراسة منشورة بالمركز الديمقراطيّ العربيّ، مصر،٢٠١٦ .

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

- **François DOUMENGE**, Jean AUBOUIN, Michel DURAND-DELGA et Encyclopaedia Universalis, Article “ Méditerranée (Mer) ”. Paris : Encyclopædia Universalis, vol. 14.

- Prisecaru, P., Al dulaimi, A., (2014). Natural gas boom in the Middle East, University of Al-Qadisiya , IRAQ, Geo, 2 (1).